الباب الرابع

تراث الأدب البدوي

الباب الرابع

تراث الأدب البدوي

ينقسم الأدب البدوي إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الشعر البدوي ، ويسمى الشعر عند عرب البادية القول .

القسم الثاني : غناوي العلم وهي بمثابة عبارات الغزل في المجتمع البدوي .

القسم الثالث : الشتاوة .

وسنعرض لكل قسم على حدى ، وسنعطي مثالاً أو أكثر لذلك ، محاولين تفسير المعنى لكل مثال ، وقد تحرينا في ذلك الإيجاز بقدر الإمكان .

القسم الأول : الشعر البدوي

الشعر البدوي ويسمى القول والشعر البدوي أو القول البدوي يعتبر في رأيي المتواضع أنه أرقى نوعًا من أنواع الشعر وأكثر ألوان الشعر صدقًا وتأثيراً وأروعها معاني وأجملها صياغة وأغناها صوراً وأغربها سحراً .

ذلك لأنه من المدهش بل ومن المزهل أن تقرأ قصيدة بدوية رائعة جمعت فيها جميع مفردات اللغة العربية وتوافرت بها جميع مقومات الشعر من تجربة شعرية إلي عبارات أدبية إلى النعت والسجع والقافية ودقة الترتيب والتقسيم في الأبيات .

ثم إنك لن تستطيع أن تتمالك نفسك من الدهشة عندما يصل إلى علمك أن بعض هؤلاء الشعراء الذين يقولون هذا القول أو الشعر بعضهم أمي لا يستطيع القراءة والكتابة ولكنك وبعد أن تفيق من دهشتك لعلك تتسائل كيف

إذن توصل الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ .

كيف توصل إلى هذه الصياغة ومن أين له أن يأتي بكل هذه المقومات الشعرية ومن أين له الأبيات ، والصفات والاستعارة والقافية . . .

كيف تأتي له ذلك علمًا بأن كل هذه الأمور لا يمكن القيام عليها والإلمام بها إلا بواسطة دارسين ومتخصصين في هذا المجال .

ذلك لأن القصيدة البدوية أو القول البدوي قد صنعتها التجربة الشعرية وسواءًا كانت هذه التجربة سارة أو قاسية تلك التجربة هي التي صنعت هذه القصيدة ، كما أنه ولا شك وكما ذكرنا آنفًا أن مرد ذلك إلى ما وهبه الله للبدوي من ذكاء فطري حاد جعله على دراية بكثير من أمور الحياة .

وأبيات القول البدوي أو الشعر البدوي قد تكون لغير البدوي غير مفهومة ، ولكنها ذاخرة بكل ما هو رائع ومزهل ومعبر في نفس الوقت ، وسأقدم لك بعض القصائد البدوية على أن أقوم إن شاء الله بتوضيح معنى كل قصيدة وكل بيت من الأبيات منفردًا ، وذلك حتى تشعر معه بروعة المعنى الذي تتضمنه أبيات القصيدة البدوية أو القول البدوي ، وأول هذه القصائد هي لأحد الشعراء عند عرب البادية ويسمى الحاج / عبد اللطيف العشيبي من محافظة مرسي مطروح ، هذا الشاعر تعرض لصدمة عنيفة وفقد أحد أبناؤه والذي مات غرقًا في مياه البحر المتوسط .

وشدة الحزن على نجله الذي مات غرقًا جعلته يجلس على ربوة عالية في مواجهة البحر ، وأخذ يقول قصيدة بدوية أو قولاً بدويًا يعبر فيه عن حزنه ، وعن ما ألم به من آلام من جراء فقدانه لنجله .

وجلس يخاطب البحر حزنًا على فقدانه ولده وفلذة كبده ثم يرد عليه البحر وكانت هذه الآبيات الرائعة من القصيدة والتي سأذكر منها بعض الآبيات فقط

للتمثيل على ما أقول .

يقول الشاعر في هذه القصيدة الحزينة :

اليوم يا بحر هايج وموجك عالي والى واخزه مني عزيـز وغالـي

المعنى :

الشاعر هنا يخاطب البحر فيقول : ما خطبك أيها البحر ، فأمواجك عالية وعليك أن تعلم أن من أخذته مني وأغرقته له في نفسي محبة ومعزة ليست بعدها معزة .

اليوم يا بحـر هايج وباقـي صايـل واخذ جنيني فوق سطحك شايل

المعنى :

وهنا يريد الشاعر أن يقول أن البحر قد أصبح كالخيل الشاردة وحمل جنيني على سطحه ، والغريب هنا أن ذلك الشاعر البدوي والذي لم ينال قسطًا وفيرًا من التعليم يطلق صفة جنيني على ولده وفلذة كبده .

وصفة الجنين عند عرب البادية هي عبارة يتحدث بها جميع أبناء البادية منذ آلاف السنين والمدهش والغريب أيضًا أن علم الجينات هو علم حديث الاكتشاف لم يتوصل إليه الباحثون ، إلا حديثًا ولفظ جنين تعني ولدي وتعني ذلك الجزء مني وهو ما توصل إليه علم الجينات حديثًا وتحدثوا فيه عن دور الجينات في الإنجاب وعلم الاستنساخ .

الأمر الذي يجعلك أمام حيرة بخصوص هذا الأمر ذلك لأن البدوي يقصد بعبارة جنيني أنه جزءًا ليس من اليسير عليه الاستغناء عنه .

ويعود الشاعر ليقول :

لو كان يا بحر تقدر تدير جمايل على طارتـك ترميه روف بحالي

المعنى :

أن الشاعر يتمنى على البحر ويرجوه أن يقدر ما هو فيه ويسأله أن يصنع له جميلاً ويلقي له بولده على جانب الشاطئ رأفة بحاله .

ويواصل الشاعر قائلاً :

خليت مينته تبكي بدموع شلايل ونا شوف حالي ما يريد سوالي

المعنى :

وهنا يصف الشاعر للبحر حاله وحال والدة الغريق ، فيقول لقد جعلت والدته تبكي بدموع كالشلال ، أما أنا فأنظر إلى حالي لا أعتقد أنه يحتاج إلى سؤال .

البحر يرد على الشاعر فيقول :

يا حاج ناديمة صايل وديمة سطوله فوق سطحي شايل

والمعنى :

أن البحر ينبه الشاعر أن ذلك هو حال البحر دائمًا وأنه دائمًا ما يحمل على ظهره الأساطيل .

ثم يقول البحر على لسان الشاعر :

يا حاج راه كل حي زايل والدنيا غرورة ما تدوم لوالي

ويقصد البحر أن كل الأحياء إلى زوال وأن الدنيا غرورة ولن تدوم لأحد ، ثم يواصل البحر قائلاً :

الموت تفني نجوع وقبايل وديمه تخلي في القصور خوالي

والمعنى :

أن الموت تفني كل شيء ، النجوع والقبائل ودائمًا ما تجعل القصور خالية ، ثم يواصل البحر رداً عليّ والد الغريق قائلاً :

يا حاج خليك صابر الشيب في وجهك وراجل كابر

كل يوم في الدنيا عامرات مقابر وراح الأول وجاك الثاني

والمعنى :

أن البحر يلوم الشاعر على جزعه فيقول له : اصبر فأنت شيخًا كبيرًا وقد ظهر الشيب في لحيتك ، وعليك أن تعلم أنه ما يمر يومًا إلا وتعمر القبور بالموتى فيموت الأول ، ويولدا لثاني ، وتلك هي الحياة .

ويواصل الشاعر قائلاً :

اليوم يا بحر هايج وباقي زايف وموجك يروح من بعيد ضفايف

ومعنى ذلك :

أن الشاعر يصف البحر بأنه في قمة هياجه وغضبه وأن أمواجه تأتي أكثر علواً في نظر الشاعر .

ثم يواصل الشاعر قائلاً :

واخذ إلي كنا عليه نرايف نا والعجوز كان غاب ليالي

والمعنى :

أن البحر قد أخذ من الشاعر من كان يشتاق إليه هو وعجوزه أي زوجته وهي أم الغريق .

ويقول الشاعر : لقد أخذت منا من كنا نشتاق إليه إذا فارقنا ليالي .

ويواصل الشاعر حزينًا :

الى يا بحر كامل بكل وصايف وحق من خلقني هو خيار عيالي

والمعنى :

أن ذلك الغريق يحمل جميع الصفات الحسنة ويقسم الشاعر للبحر أن من

أغرقته أيها البحر هو خيره أولادي ، ثم يأتي دور البحر ليرد على الشاعر فيقول :

يـا حـاج ريـح بـالك كيـف راجـل كبير وهـذا حـالك

صبر عجوزك والأولاد عيالك وتصدق عليه وسيبني في حالي

والمعنى :

أن البحر يقول للشاعر : اهدأ بالا أيها الحاج ، أنت شيخًا كبير تؤمن بالقضاء والقدر ، فكيف يكون هذا هو حالك ، ما عليك إلا أن تصبر وتنصح زوجتك وأولادك بالصبر ، وعليك بالصدقة ، أما أنا فاتركني وشأني .

ويواصل البحر قائلاً :

يا ما غدرت بناس كيف موالك ما غيرك منهم واحد شكا لي

والمقصود أن البحر يقول لقد غدرت بالكثير والكثير مثل ابنك فليس ولدك الأول أو الأخير ، ومع ذلك فلم يجرؤ أحد ويشكو لي ما فعلت مثلما تفعل أنت الآن .

فيا لها من معاني رائعة ، تلك التي احتوتها هذه الأبيات من القصيدة ويالها من تجربة شعرية قاسية تلك التي مر بها الشاعر وتمخضت نها هذه الأبيات البليغة .

وإليك بعض الأبيات الشعرية لهذه القصيدة ، وبعد أن حاولنا إيضاحها وبيان معانيها لمن لا يعرف اللهجة البدوية .

الشاعر :

اليوم يا بحر هايج وموجك عالي والي واخده مني عزيز غالي

اليوم يا بحر هايج وباقي صايل واخذ جنيني فوق سطحك شايل

لو كان يا بحر تقدر تدير جمايل علي طارتك ترميه روف بحالي

خليت منيته تبكي بدموع شلايل ونا شوف حالي ما يريد سوالي

يرد البحر يقول :

يـا حـــاج ناديمـــه صايـــــل ... وديمـة سطولـه فوق سطحي شايل
يا حـــاج راه كـــل حـــي زايـــل ... والدنيـا غـرورة ما تـــدوم لوالـي
وراه المـوت تفنـي نجـوع وقبايـل ... وديمـة تخلـي في القصـور خوالـي
يـا حـــاج خليـــك صابـــــر ... الشيـب في وجهـك وراجـل كابـر
كل يـوم في الدنيا عامـرات مقابـر ... وراح الأول جـــاك الـثـانـــي

الشاعر :

اليـوم يا بحـر هايـج وباقـي زايـف ... وموجـك يـروح من بعيـد ضفايـف
واخـــذ اللـي كنـا عليـه نرايـف ... نـا والعجـــوز كـان غاب ليالـي

البحر :

يا حـــاج ريـــــح بـــالك ... كيف راجـل كبيـر وهـــذا حالك
صبـر عجـــوزك والأولاد عيـالك ... وتصـدق عليـه وسبينـي في حالي
يا ما غـدرت بنـاس كيـف مـوالك ... ما غيـرك منهـم واحـد شكـا لـي

تلك إذن هي قصيدة البحر ولقد رأينا كيف أن التجربة الشعرية القاسية التي مر بها الشاعر قد صنعت قصيدة رائعة تعبر عن أحساسيس الشاعر وآلامه التي هذت كل أركانه ، وهناك الكثير والكثير من القصائد التي يذخر بها التراث البدوي ، والذي يستحق أن يكتب عنه الكثير والكثير .

ولكنني لن أطيل في ذلك وسأذكر بعض الأبيات من قصيدة أخرى ، وهذه القصيدة للشاعر البدوي الحاج ضي المغواري ، وهو رجل معروف للكثير من أبناء القبائل البدوية ومعروف لي شخصيًا ويسكن غير بعيد مني .

وموضوع قصيدته هو أن شابًا بدويًا يعيش في الصحراء بقسوتها وحلاوتها

وعادتها وتقاليدها ، وأن الحياة في الصحراء وفي النجوع البدوية المتناثرة في الصحراء تجعل من يعيشون فيها أكثر تشدداً للعادات والتقاليد وأكثر تمسكًا بها ، والحرص عليها وأن من يحيد عن العادات والتقاليد البدوية في نجوع الصحراء كأنه أتى جرمًا عظيمًا وأصبح كالمجزوم يفر منه الجميع فيظل منبوزاً مكروهًا من هذه الصحراء ومن أحد النجوع البدوية هناك شابًا ساقته الأقدار إلى المدينة ، وشتان ما بين حياة المدينة وتحررها وحياة الصحراء وعاداتها هذا الشاب الذي ساقته قدماه إلى المدينة تعلق بأحدى الفتيات من المدينة ووصل هذا التعلق إلى درجة العشق والوله وبأدلته الفتاة نفس الأمر وبادلته نفس المشاعر .

ولكن الشاب البدوي وبعد أن سقط في بحر الغرام أصبح في حيرة من أمره وراح يحدث نفسه ويقارن بين حياة المدينة وسهولتها ، وحياة الصحراء وقسوتها وهل سترضي هذه الفتاة بحياة الصحراء ، وهل سيلائمني أنا طباع هذه الفتاة وتصرفاتها التحريرية وأزياءها الغريبة عن العادات البدوية ، وهل سيتناسب ذلك كله مع حياة الصحراء ونجوعها .

ظل الشاب هكذا في حيرة من أمره ، وهذه الحيرة وتلك التجربة صنعت له هذه الأبيات والتي يحدث فيها نفسه على النحو التالي :

القصيدة ، يقول الشاعر :

إلى كمها قاصر على مرفقها

قلبي عشقها لا غيت عنها ولا رضيت رفقها

والمعنى :

أن الشاب وعلى لسان الشاعر يقول : تلك الفتاة التي ترتدي ذيًّا له كم قصير لا يصل إلى المرفق « نصنف كم » قلبي عشقها ، أي أنه أحبها حبًّا شديداً وأنه لا يستطيع الغياب عنها ولكنه في نفس الوقت لا يرضيه أن يكون رفيقًا لها

ذلك لأن البدوي غالبًا ما يسمى الزوجة رفيقة أي رفيقته في مشوار الحياة .

ثم يواصل الشاعر فيقول :

رفقهـا جنـه غير العوايـد باعدنـا عنـه

ناما نليق غير بجرد وشنه وما نريد بدله رقبتي تخنقها

والمعنى :

أن مرافقة تلك الفتاة كالجنة في جمالها ، ولكن العادات باعدتنا عنه ، وانا يقول الشاعر لا أجد نفسي سوي في ارتدائي للجرد وهو من الأذياء البدوية ، وكذلك الشنة ، وهي توضع على الرأس وغالبًا ما يكون لونها أحمر .

ويقول : وما نريد بدله رقبتي تخنقها ، أي أن الشاعر هنا يقصد أنه لا يستطيع أن يرتدي البدلة بما فيها رابطة العنق والتي ستصيبه بالاختناق .

ويقول الشاعر :

وهـي لا قنـاع ولا عليهـا سنـه تدور كي ما رب العباد خلقها

والمعنى :

أنها ترتدي زيًّا عاريًا لا قناع ولا يتمشى مع الشرع أو السُّنَّة ، وترتدي القليل من الملابس والتي لا تستر جميع أجزاء جسدها .

ويواصل الشاعر :

هـي حضريـة ومعاهـا شهايـد علـم ومحاميـة

ونا بدوي لغوتي عميه يومًا يسير فراق ما نعلقها

والمعنى الذي يقصده الشاعر :

أنها فتاة متحضرة ومتحررة ، وأنها محامية وعلى درجة عالية من التعليم لحصولها على الشهادات التي أهلتها لذلك ، أما أنا فرجل بدوي أتحدث اللهجة

البدوية ، فإذا ما صار بيني وبينها خلاف بعد ذلك فسيكون لها الغلبة والسيطرة وهو ما لا أرضاه لنفسي .

رفقها راحة للقلب وصفة طبيب جراحة

وحق من يجوه الزائرين فراحة غزال ربنا خالقها

والمعنى :

أن مرافقه فتاة المدينة التي يعشقها هو راحة للقلب ، ويعتبر بمثابة وصفه أي نصيحه من طبيب جراح ، ويقسم على ذلك ويقول : وحق من يأتوه الزائرين فراحه أي مسرورين ، ويقسم بالله الذي يلبيه الزائرين يوم الحجيج بأن الفتاة كالغزال في جمالها ورشاقتها .

ثم يواصل الشاعر قائلاً :

لا عندنا ثلاجة ولا عندنا من صنف التقدم حاجة

إلا غوط بسمك كل يوم عجاجة حياة ترق النفس وتزهقها

وكأن الشاعر يقارن بين حياته وحياة معشوقته ، أما أنا فحياتي قاسية ، فليس عندي ثلاجة ، وليس هناك في نجوع الصحراء أي نوع من أنواع التقدم ، اللهم إلا وادي في الصحراء يعصف بالرمال والأتربة ، وهذه حياة ترهق النفس وتؤدي بها إلى الملل .

ثم يواصل الشاعر :

وهي عندها شارع عجب مكياجه تنقي اللون الي على فاهقها

إن الفتاة في المدينة تسكن شارعًا مليء بكل الألوان ، وتختار منه ما يناسبها ويحلو لها .

ويواصل الشاعر قائلاً :

تريـد مكيـف وشاليـه على الكرنيـش فيـه تصيـــف

وناحيلتي خيشه ودرس شليف تبرم عليها كيف وتطققها

والمعنى :

أن فتاة المدينة وحسب ما تعودت عليه تحتاج إلى مكيف أو تكييف ، وقد ترغب في قضاء الصيف في شاليه على شاطئ البحر .

أما أنا فليس لدي سوى الخيشة وهي الخيمة الصغيرة التي يقيم فيها الشاب وقطعة من الفراش البالي ، فكيف لها أن تتحمل ذلك ، وهل تستطيع هذه الفتاة أن تعتني بأمر خيمتي أو تسكن فيها .

ويواصل الشاعر :

تريـد بلوزة وفي الصيـف ما تشـرب الأقـزوزة

ولها جسم طايب طياب الموزة تفقد شعورك عندما تزنقها

والمعنى :

أن فتاة المدينة ترتدي ما يسمى البلوزة ، وتشرب المرطبات في فصل الصيف ثم يبدأ في وصفها فيقول : إن جسدها لين وقد استوى كاستواءة الموز ولو اقتربت منها ولامس جسدك جسدها فلن تتمالك نفسك وقد تفقد شعورك .

الى كمهـا قـاصـر علـى مرفقهـا

قلبي عشقها لاغب عنها ولا رضيت رفقها

تلك هي الأبيات أو بعض أبيات هذه القصيدة ، وذلك هو المعني المقصود منها ، وإليك أبيات القصيدة حتى تشعر معي ببلاغتها .

القصيدة :

إلى كمها قاصر على مرفقها قلبي عشقها

لا غبت عنها ولا رضيت رفقها

رفقها جنه مغير العوايد باعدنا عنه

ناما نليق غير يجرد وشنة وما نريد بدلة رقبتي تخنقها

وهي لاقناع ولا عليها سنه

تدور كيف ما رب العباد خلقها

هي حضرية ومعاها شهايد علم ومحاميه

ونا بدوي لغوتي عميه يوم ما يسير فراق ما نعلقها

رفقها راحة للقلب وصفه طبيب جراحه

وحق من يجوه الزائرين فراحه غزال ربنا خالقها

لا عندنا ثلاجة ولا عندنا من صنف التقدم حاجه

الا غوط يسمك كل يوم عجاجه حياة ترق النفس وتزهقها

وهي عندها شارع عجب مكياجه

تنقي اللون الي على فاهقها

تريد مكيف وشاليه على الكرنيش فيه تصيف

ونا حيلتي خبشة ودرس شليف تبرم عليها كيف وتطققها

تريد بلوزة وفي الصيف ما تشرب إلا قزوزة

ولها جسم طايب طياب الموزة تفقد شعورك عندما تزنقها

إلى كمها قاصر على مرفقها قلبي عشقها

لا غبت عنها ولا رضيت رفقها

والتراث البدوي ذاخر بالشعر والشعراء ، وهناك الكثير من القصائد البدوية الرائعة والمدهشة وسأذكر بعض أبيات من قصيدة أخرى ، وهي قصيدة يصف فيها الشاعر الناس إلى أنواع ، ويريد أن يقول من خلال قصيدته أن الناس ليسوا سواسية ، وأنهم أنواع وأصناف ، فمنهم حسن الصفات ومنهم سيء الصفات ، وإلى غير ذلك من الناس ، وقد عبَّر عن ذلك في قصيدته « الناس » .

واليك منها الأبيات التالية :

هنـاك ناس تكرهـم من أول ليلـة وهناك ناس ما يهونوا سنين طويلة

والمعنى :

أن هناك صنف من الناس تشعر تجاهه بالكراهية للوهلة الأولى ، ومنذ الليلة الأولى ويقصد الشاعر عند المقابلة الأولى ، وأن هناك ناس لا يمكنك الاستغناء عنهم سنوات طويلة .

ويقول الشاعر :

وهنـــاك نـــاس حبايـــب وهناك ناس تكرهم بغير سبايب

والمعنى :

أن الشاعر يقول أن هناك نوع من الناس تشعر تجاهه بالحب ، وهناك أيضًا صنف آخر من الناس تشعر نحوه بالكراهية بدون أسباب .

ويواصل الشاعر :

ولا العقل العامر كي العقل الخايب ولا وجوه تندي كـي وجوه بخيله

والمعنى :

أن الإنسان ذو العقلية العامرة بالذكاء ، ليس كالإنسان ذو العقل الخرب ، وأن الوجوه النادية وهي وجوه البر والخير ليست كالوجوه البخيلة .

ويواصل الشاعر:

وهناك نـــاس يـــا محـــــلاهم وهناك ناس ما تقدر تعيش بلاهم

والمعنى:

أن هناك أناس جميلة وحلوة الطباع ، وهناك أيضًا أُناس لا يمكن أن نتحمل العيش بدونهم .

ويواصل الشاعر:

وهناك ناس عشرتهم خطأ طوالي مكتوب في جباهم خراب العيله

والمعنى:

أن هناك نوع من الناس التعرف عليهم والاقتراب منهم خطأ كبيراً ، لأن هؤلاء الناس حفنة من الأشرار ، وأن كل البلاء مكتوبًا على جباهم وأنهم سبب المشاكل التي تحدث في كل عائلة .

ويواصل الشاعر:

وهناك ناس تعزم والجيوب خوالي وهناك من يبخل والجيوب ثقيلة

ويقصد الشاعر:

أن هناك نوع من الناس يعرض عليك المساعدة ويلح في ذلك ، وهو خالي الجيوب ولا يمتلك شيئًا ، وهناك أُناس شديدة البخل ، بالرغم من أن جيوبها ثقيلة ، يقول الشاعر ويقصد أن جيوبها مليئة بالأموال .

ويستمر الشاعر:

وهناك نـــاس يـــا مبهاهـــــم وهناك ناس توعدهم وما تلقاهم

والمعنى:

أن الشاعر يريد أن يقول أن هناك أُناس ذات طلعة بهية ، وهناك نوعًا آخر من الناس إذا واعدته لن تجده أي نوع من الناس لا يصدق وعداً .

ويواصل الشاعر:

وهنـاك نـــاس يا مبلسهـــــم　　لا غريب يقبلهم ولا من هلهم

والمعنى:

أن هذا الصنف من الناس هم أشرار وأن تصرفاتهم تصرفات شيطانية مثل إبليس ، ومعنى يا مبلسهم أي ما ابلس تصرفاتهم وتعني أنهم ينتمون إلى إبليس اللعين .

ويقصد الشاعر بذلك تصرفاتهم وطباعهم وأن هؤلاء الناس لا تجد من يشعر نحوهم بالقبول لا من الغرباء ولا حتى من أهلهم وعشيرتهم .

هذه إذن بعض الأبيات لقصيدة الناس ، وقد قمنا بشرح ما تعنيه هذه الأبيات ، وإليك الأبيات التي ذكرناها :

قصيد الناس: يقول الشاعر:

هناك ناس تكرهم من أول ليلة

وهناك ناس ما يهونوا سنين طويلة

وهناك ناس حبايب

وهناك ناس تكرهم بغير سبايب

ولا العقل العامر كي العقل الخايب

ولا وجوه تندي كي وجوه بخيله

وهناك ناس يا محلاهم

وهناك ناس ما تقدر تعيش بلاهم

وهناك ناس عشرتهم خطأ طوالي

مكتوب في جباهم خراب العيلة

وهناك ناس تعزم والجيوب خوالي

وهناك من يبخل والجيوب ثقيلة

وهناك ناس يا مبهاهم

وهناك ناس توعدهم وما تلقاهم

وهناك ناس يا مبلسهم

لا غريب يقبلهم ولا من هلهم

كانت هذه إذن بعض الأبيات من قصيدة الناس ، وقد سبقها أبيات أخرى لقصيدة البحر وقصيدة فتاة المدنية ، ولقد قصدت من كل ذلك أن أبين لك ، كيف أن هؤلاء الشعراء من عرب البادية يمتلكون هذه البلاغة النادرة وأن التراث الدوي مليء بكل الألوان الأدبية من شِعر وقصص بدوية رائعة ولا أريد أن أنسى أن أذكرك بأنه وبالرغم من ذلك كله فأنك قد تجد من هؤلاء الشعراء من لا يعرف القراءة والكتابة أو أن هناك من يعرفها بالكاد ، أو أن هناك شعراء ثقفتهم الحياة ، وتجاربها ، ولكنهم لا يحملون المؤهلات من الشهادات ونحوها ، إلا أن التراث البدوي مليء بأشعارهم وروائعهم .

القسم الثاني

غناوي العلم :

غناوي جمع الغناوة وعند عرب البادية تعني الأغنية .

وأغنية العلم عند البادية تعتبر بمثابة عبارات الغزل بين الشاب والفتاة ، وهي عبارة عن كلمات قصيرة يريد المغني من خلالها أن تصل مشاعره إلى معشوقته وبحيث تكون الكلمات القصيرة التي تضمنتها غناوة العلم تفي بكل مشاعره وأماله وتصوراته لعلاقته بمحبوبته .

وسأقوم بذكر بعض من غناوي العلم البدوية للتمثيل على ذلك ، واليك بعض من هذه الأغاني :

الغناوة الأولى :

[١] غلا عزيز كيف العمر نهايته مع يوم الفنا .

ويقصد بهذه الغناوه أن حبه لمعشوقته كالعمر تمامًا لا ينتهي إلا عند الفناء ، ويعني بذلك أن غلا أي حب حبيبته ملازمًا له طالما ظل على قيد الحياة ولا ينتهي إلا عند الفناء أي عند الموت .

الغناوة الثانية :

[٢] راقد وجاك النوم كذاب ما غلانا شاغلك .

وفي هذه يعاتب العاشق محبوبته ويلومها قائلاً : راقد وجاك النوم ، أي أنك تهنأين بنوم عميق ، وأن مقولة أن حبك لي يشغلك هذا القول كذبًا وليس صحيحًا وما دمتي تنعمين بالنوم فلست مشغولة بي على الإطلاق .

الغناوة الثالثة :

[٣] ساهل ردود العيب الا القدر هو الي واعر شوي .

والمعني : أن رد العيب والإهانة هو أمر سهل للغاية ، أما أن نحافظ على كرامتك وكرامة الأخرين وتكون عند حُسن ظن الأخرين بك هو أمر ليس بالسهل أو الهين .

الغناوة الرابعة :

[٤] ديارة يجن يا لاك العقل يا عزيز حال غايته

والمعنى : أن المقصود هو أن أمنية القلب وغايته أن تكون الفتاة من نصيبه ، وأن يتحقق ما يحلم به وأن تكون دياره ملاصقة لديار محبوبته ، فلا تغيب عنه لحظة واحدة ، وذلك يدل على شدة الاقتراب والمقصود أن تكون الفتاة بجواره

طوال الحياة بأن تكون زوجته .

الغناوة الخامسة :

[٥] ننهاهن يديرن عزم بجي الليل ويزيدن بكا .

والمعنى : أن العاشق هنا يقول : أنه يحاول جاهداً منع عيناه من البكاء فتتمالك نفسها بعض الشيء ، ولكنها عندما يأتي الليل يزداد بكاءها عندما تخلو إلى نفسها في ظلام الليل .

الغناوة السادسة :

[٦] ظلامك يجيب عزيز ننزل عليك ياليل ما تجي .

والمعنى : هو أن المعني يقول : أيها الليل أن ظلامك عندما يحل واخلو لنفسي فإن طيف محبوبتي يأتي عندما يأتي ظلامك ، فأرجوك أيها الليل ألا تأتي أبداً ، حتى لا تتسبب في زيادة آلامي وأحزاني .

وما سبق ذكره هو نموذج من غناوي العلم البدوية بما تحويه من معاني رائعة ، وذات بلاغة غير مسبوقة وتلك الأغاني قد ينظر إليها غير البدوي والذي لا يعرف اللهجة البدوية قد يعتقد أنها مجرد « ياي ياي » لأنه لا يعرف اللهجة البدوية وبالتالي فإنه لا يعرف معاني غناوة العلم .

ويقيني أن هذه الغناوي والتي تحمل في طياتها أروع المعاني وأرقاها والتي ينظر إليها الكثير على أنها مجرد « ياي ياي » كما قلنا ، يقيني أنها أكثر بلاغة وأكثر وقاراً من ... كذاب يا خيشة ... أو سلم لنا بقا على الطرماي ، وأنها أكثر احتراماً وأصدق معنى من الأغاني التي أصبحت اليوم أرخص من سندوتش الفول في بلدنا .

القسم الثالث

الشتاوة

الشتاوة هي : أغنية شعبية بدوية ، والشتاوة هي أغنية ذات ألحان موسيقية وهي ليست طويلة ولكنها تتكون من بيت واحد .

وعلى سبيل المثال :

الأغنية أو الشتاوي الأولى :

بود ملج خايل في ايديه　　ناو الناس اعذار عليه

ومعنى ذلك :

أن من ترتدي الدملج « السوار البدوي » والذين يزين يديها اعتقد أنني عزيز عليها .

الشتاوة الثانية :

يا بو سالف ستة كيلو　　كان حزاك ربيع تشيلو

ومعنى ذلك :

أن العاشق يصف محبوبته بأن لها شعر يزن ستة كيلو جرامات ، ويقول لها : إن كان هناك أمل في الاقتران بك ، فأنا على استعداد أن أذهب بجوارك .

الشتاوة الثالثة :

عيونك يا لواي الشال　　غرنبا في تلال رمال

وهنا يصف الفتى محبوبته ويقول : أن عيناها من شدة سوادهما مثل الغربان السوداء التي تقف على تلال الرمال البيضاء ، وذلك لشدة سواد عيون فتاته وشدة بياض بشرتها .

الشتاوة الرابعة :

يابو سالف ريش نعام ما خليت العين تنام

ومعنى ذلك : أن محبوبته لها شعر كريش النعام ، وأن عيونه لم تنم من شدة حبها والتعلق بها وانشغاله بها ، وما سبق لا يعدو أن يكون قطرة في خضم تراث الأدب البدوي الرائع ، والمعبر عن مقصوده .